

## ١٠- ما بين غزوة أحد وغزوة الخندق

### ١- يوم الرجيع<sup>(١)</sup>

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كان بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معها: هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فتقلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشتري خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قاتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعمار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد به فأعارته قالت: فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأته فرعت فرعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذاك

(١) قال الحافظ: الرجيع اسم للروث سمى بذلك لاستحالته والمراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل كانت

الوقعة بقرب منه فسميت به، قوله: «لجئوا إلى فدفد» هي الرابية المرتفعة.

قوله: «اللهم أخبر عنا رسولك» في رواية الطيالسي عن إبراهيم بن سعد «فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبره فأخبر أصحابه بذلك يوم أصيبوا»، وفي رواية بريدة «فقال عاصم: اللهم إني أحمي لك اليوم دينك فاحم لي الحمى». قوله: «ما أن أبالي» هكذا للأكثر وللشمهني «فلمست أبالي» وهو أوزن. قوله «أوصال شلو مزمع» الأوصال: جمع وصل وهو العضو والشلو الجسد والمزمع المقطع، ومعنى الكلام: أعضاء جسد يقطع.

إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيتَه يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا ما بي جزع من الموت لزدت: فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهم أَحْصِهِمْ عَدَدًا ثُمَّ قَالَ.

مَا أَنْ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلَ مُسْلِمًا      عَلَى أَيِّ شَقِّ كَانَ اللَّهُ مَصْرَعِي  
وَذَاكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ      يُبَارِكْ عَلَيَّ أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمْرَعِي

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله.

وبعث قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدرُوا منه على شيء<sup>(١)</sup>.

### الفوائد والآثار الإيمانية:

١- قال الحافظ: وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة، فإن أراد الأخذ بالرخصة فله أن يستأمن. قال الحسن البصري: لا بأس بذلك. وقال سفيان الثوري: أكره ذلك، وفيه: الوفاء للمشركين بالعهد والتورع عن قتل أولادهم والتلطف بمن أريد قتله، وإثبات كرامة الأولياء، والدعاء على المشركين بالتعميم والصلاة عند القتل وفيه: إنشاد الشعر، وإنشاده عند القتل دلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه.

وفيه: أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه ولو شاء ربك ما فعلوه، وفيه: استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيًا وميتًا، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر (١) رواه البخاري (٤٣٧/٧، ٤٣٨) المغازي، وأحمد في المسند (٣١٠/٢). وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدًا أن لا يمسه مشرك ولا يمسه مشركًا أبدًا فكان عمر يقول لما بلغه خبره: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته».

بالتأمل. وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمة بقطع لحمه. وفيه: ما كان عليه مشركو قريش من تعظيم الحرم والأشهر الحرم<sup>(١)</sup>.

٢- وفي الحديث تعظيم الصحابة لسنة النبي ﷺ، وكيف أن خبيبا مع أنه في أسر المشركين، ويعلم أنه سيقتل بين عشية أو ضحاها، ومع ذلك كان حريصا على سنة الاستحداد. واستعار موسى لذلك وفي هذا واعظ لمن يستهين بكثير من السنن، بل وكثير من الواجبات بحجة أن لا ينبغي أن ينشغل المسلمون بذلك للظروف التي تمر بها الأمة، وفي الواقع لا مَنافاة بين تعظيم السنة والدخول في شرائع الإسلام كافة، والسعي لإقامة شرع الله.

والله تعالى يقول: ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال: ﴿إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مجادل: ٧]، ونصر الله عزَّ وجلَّ هو نصر دينه والعمل بشرعه والله المستعان.

## ٢- حادثة بئر معونة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلاً وذكوان وعصية وبنو حيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يجتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى كانوا يبئر معونة قتلوهم، وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبنو حيان، قال أنس: فقرأنا فيهم قرآنا، ثم إن ذلك رفع، بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا»<sup>(٢)</sup> وهذه رواية مختصرة وقدمناها لأنها في الصحيح.

(١) «فتح الباري» (٧/٤٤٤، ٤٤٥).

(٢) رواه البخاري (٧/٤٤٥) المغازي، ومسلم (١٣/٤٦، ٤٧) «الإمارة».

وهناك روايات أخرى رواها أحمد والطبراني بأسانيد قال عنها الهيثمي رجالها رجال الصحيح، منها ما رواه عبدالرحمن بن كعب بن مالك وغيره أن عامر بن مالك الذي يدعي ملاعب الأسنه قدم على رسول الله ﷺ وهو مشرك، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام وقال رسول الله ﷺ «إني لا أقبل هدية مشرك» فقال عامر بن مالك: ابعث يا رسول الله من رسلك من شئت فأنا له جار. فبعث رسول الله ﷺ رهطاً فيهم المنذر بن عمرو الساعدي، وهو الذي يقال له: أعتق ليموت، عيناً في أهل نجد، فسمع بهم عامر بن الطفيل، فاستنفر لهم من بني سليم فنفروا معه، فقتلهم ببئر معونة غير عمرو بن أمية الضمري، أخذه عامر بن الطفيل فأرسله، فلما قدم على رسول الله ﷺ من بينهم، وكان فيهم عامر بن فهيرة، فزعم لى عروة أنه قتل يومئذ فلم يوجد جسده حين دفنوه، كانوا يرون الملائكة هي دفنته فقال حسان يعرض على عامر بن الطفيل:

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرَعَكُمُ      وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ  
تَهَكُّمُ عَامِرِ أَبِي بَرَاءٍ      لِيَخْضِرُهُ وَمَا خَطَا كَعْمَدٍ

فطعن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن مالك عامر بن الطفيل في فخذ طعنة فقده<sup>(١)</sup>.

وفي «الصحيح» عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي قال: «لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل: من هذا وأشار إلى قتيل فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة فقال: لقد رأيت به بعد ما قُتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إليه بين السماء والأرض، ثم وضع، فأتى النبي ﷺ خبرهم فنَعَاهُمْ، فقال: إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا فأخبرهم عنهم، وأصيب فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به، ومنذر بن عمرو سمي به منذراً»<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٢٧/٦) وقال: رواه الطبراني ورجالها رجال الصحيح، ورواه أحمد عن أنس

(٣/٢١٠، ٢٧٠، ٢٨٩).

(٢) رواه البخاري (٤٥٠/٧) المغازي.

وفي رواية للبخاري عن أنس: أن حرام بن ملحان قال: أتؤمنوني بأبلغ رسالة رسول الله ﷺ؟ فجعل يحدثهم. وأومئوا إلى رجلٍ فأتاه من خلفه فطعنه. قال همام: أحسبه حتى أنفذه بالرمح، قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة<sup>(١)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة<sup>(٢)</sup>. وكانت هذه الحادثة كما رجحه ابن إسحاق وتبعه ابن القيم في «الزاد» وغيره في صفر من السنة الرابعة.

### الضوائد والآثار الإيمانية:

١ - قال الغزالي: إن نجاح الإسلام في ترسيخ أقدامه بالجزيرة أحفظ قلوبًا كثيرة، ولأرب أن تأميل المسلمين في المستقبل، وارتقاهم المزيد من الفتح، زاد ضغن الضاغنين، وقد كان الناقمون والمتربصون يصفون المسلمين بالغرور: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَالَاءُ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

غير أن هذه الكراهية اختفت أمدًا بعد انتصار بدر، بل لعل هذا النصر أغرى جمهورًا من الضعاف المترددين بالانضواء تحت علم الدين الجديد، فلما تقلبت الليالي بالمسلمين، ولحقتهم الهزائم انفجر الحقد المكبوت، ونهض خصوم الإسلام يناوشونه في كل مكان<sup>(٣)</sup>.

٢ - وفي القصة كرامة ظاهرة لعامر بن فُهيرة مولي أبي بكر، والكرامة هي الخارقة الرحمانية التي يسوقها الله عزَّ وجلَّ على يد ولي من أوليائه، ومن أولى بذلك من الصحابة الكرام الذين كانت آيات صدقهم ظاهرة وعلامات إيمانهم وجهادهم باهرة.

(١) رواه البخاري (٤٤٦/٧) المغازي.

(٢) رواه البخاري (٤٤٦/٧) المغازي.

(٣) «فقه السيرة» [٢٩٨].

وفيهما كذلك منقبة ظاهرة لحرام بن ملحان، وعلامة على صدقه في طلب الشهادة وتمنيها، حتى نضح الدم على وجهه ورأسه وقال: فزت ورب الكعبة، نسأل الله تعالى أن يمن علينا بفضله، وأن يرزقنا شهادة في سبيله، تكون كفارة للذنوب وتلحقنا بهؤلاء الأئمة العلام والأولياء الكرام.

٣- حادثة بئر معونة وغيرها مما لا يدل على أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، كما دلت على ذلك أدلة أخرى منها قوله عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الاعراف: ١٨٨] فالله عزَّ وَجَلَّ هو وحده عالم الغيب، والرسل والملائكة لا يعلمون عن الغيب إلا ما علمهم ربهم عزَّ وَجَلَّ ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿ [الحج: ٢٦، ٢٧].

### ٣- إجلاء بني النضير<sup>(١)</sup>

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لها كما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في ذينك القتيلين، قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم

(١) ذكر البخاري: حديث بني النضير في كتاب المغازي بعد غزوة بدر وعلق عن الزهري عن عروة كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد.

وأشار كذلك إلى خلاف ابن إسحاق فقال: وجعله ابن إسحاق بعد بئر معونة وأحد (٧/ ٣٨٢) «فتح الباري».

قال ابن القيم: وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بسنة أشهر وهذا وهم منه أو غلط عليه بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد والتي كانت بعد بدر بسنة أشهر هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق وخيبر بعد الحديبية «زاد المعاد» (٣/ ٢٤٩).

ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم، فقال: أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي - رضوان الله عليهم - فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلًا المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم. قال ابن إسحاق: ثم سار بالناس حتى نزل بهم. قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول فحاصروهم ست ليال ونزل تحريم الخمر.

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما قطع بال قطعى النخيل وتحريقها.

وقال: كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبدالله بن أبي ابن سلول ووديعه ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا فإننا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم فترصبوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإيل من اموالهم إلا الحلقة ففعل، فاحتملوا من اموالهم ما استقلت به الإيل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام<sup>(١)</sup>.

(١) رواه ابن هشام في «السيرة» (٣/ ٢٤٠، ١٤١) مع «الروض الأنف».

وفي هذه المعركة نزلت سورة الحشر بأسرها، وهي تسمى سورة النضير عن سعيد ابن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: قل سورة النضير<sup>(١)</sup>. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة، فنزلت: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٥]»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير قال: ولها يقول حسان بن ثابت:

وَهَانَ عَلَى سُرَاةِ بَنِي لُؤَيٍ      حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ

قال فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ      وَحَرَّقَ فِي نَوَاجِيهَا السَّعِيرُ  
سَتَعْلَمُ أَيَّنَا مَنَّا بِنَزِهِ      وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضِينَا تَضِيرُ<sup>(٣)</sup>

وقال السهيلي: ولم يختلفوا في أن أموال بني النضير كانت خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأن المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب، وأنهم لم يقع بينهم قتال أصلاً<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٨٣/٧) المغازي.

(٢) رواه البخاري (٣٨٣/٧) المغازي، ومسلم (٥٠/١٢) «الجهاد والسير».

(٣) رواه البخاري (٣٨٣/٧) المغازي، ومسلم (٥١، ٥٠، ١٢) «الجهاد والسير». قوله: «سراة»: جمع سرى وهو

الرئيس. مستطير: أي مشتعل. قال الحافظ: وإنما قال حسان ذلك تعبيراً لقريش لأنهم كانوا أغروهم بنقص

العهد وأمرهم به ووعدهم أن ينصروهم إن قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: «فأجابه أبو سفيان بن الحارث» أي ابن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان حينئذ لم

يُسلم وقد أسلم بعد الفتح. قوله: «ستعلم أيئنا منه بنزه» أي يبعد وزناً ومعنى.

وقوله: «تضير» من الضير وهو بمعنى الضر، وأراد أبو سفيان: أن أرض بني النضير إذا خرجت أضرت

ما جاورها من أراضي الأنصار بخلاف أرض قريش فهي بعيدة.

(٤) «الروض الأنف» بتصرف هامش (٢٥٠/٣) مع سيرة «ابن هشام».

## الفوائد والآثار الإيمانية:

١- قال الغزالي، في هذه المعركة نزلت سورة الحشر بأكملها فوصفت طرد اليهود في صدرها بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنْبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ۗ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢].

ثم فضح القرآن مسلك منافقي المدينة الذين حاولوا إغائه يهود في غدرها وحرها وحرصوا على مقاتلة المسلمين، بما وعدوها من إمداد وعتاد فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنْبِ لَئِن أَخْرَجْتُمُنَا لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١] (١).

٢- قال محمد سعيد البوطي، هذه صورة ثانية من الغدر والخيانة المتأصلة في نفوس اليهود، وقد رأينا من قبلها صورة أخرى من خيانتهم فيما أقدم عليه يهود بني قينقاع، وتلك حقيقة تاريخية صدقتها الوقائع التي لا تحصى، وذلك هو سر اللعنة الإلهية التي حاقت بهم، وسجلها بيان الله تعالى في قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وقال: قطع نخيل بني النضير وإحراقها ثبت بالاتفاق، والذي أتلفه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك إنما هو البعض ثم ترك الباقي، وقد نزل القرآن تصويبا لما أقدم عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك قطعاً وإبقاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]، وقد استدلت عامة العلماء بذلك على أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد من مصلحة النكاية بأعدائهم. وهذا الذي قلناه من إباحة قطع شجر الكفار أو

(١) «فقه السيرة» للغزالي [٣٠١].

إحراقه إذا اقتضت المصلحة هو مذهب نافع مولي ابن عمر ومالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق وجمهور الفقهاء.

وروى عن الليث بن سعد وأبي ثور والأوزاعي القول بعدم جوازه<sup>(١)</sup>.

اتفق الأئمة على أن ما غنمه المسلمون من أعدائهم بدون قتال وهو «الفى» يعود النظر والتصرف فيه إلى ما يراه الإمام من المصلحة، وأنه لا يجب عليه تقسيمه بين الجيش كما تقسم عليهم الغنائم التي غنموها بعد قتال وحرب، مستدلين على ذلك بسياسة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تقسيم فئ بني النضير، فقد خص به كما رأيت المهاجرين وحدهم وقد نزل القرآن تصويبا لذلك<sup>(٢)</sup>.

٣- فضح الله عنَّ وجرَّ اليهود في هذه السورة كما فضح المنافقين فقال تعالى:

﴿ لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ۖ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الْحِجْر: ١٤].

قال القاسمي: ﴿ لَا يُقْنِلُونَكُمْ ﴾ أي اليهود وإخوانهم ﴿ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ ﴾ أي بالحصون، فلا يبرزون إلى البزار ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ أي من خلف حيطان لفرط رهبتهم منكم ﴿ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾.

قال الزمخشري: يعني أن البأس الشديد يوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة، لأن الشجاع يجبن، والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله. انتهى.

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ أي تظنهم مجتمعين لاتفاقهم في الظاهر، والحال أن قلوبهم متفرقة، لأختلاف مقاصدها، وتجاذب دواعيها، وتفرقتها عن الحق بالباطل ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ قال المهامي: أي الاجتماع في الظاهر مع افتراق البواطن ﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي أنه يوجب جنبهم المفضي إلى الهلاك الكلي. انتهى.

(١) باختصار من «فقه السيرة» للبوطي (٢٠٤، ٢٠٥) والجزء الأخير من «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٢/٥٠).

(٢) «فقه السيرة» للبوطي [٢٠٥] باختصار.

وفي هذه الآيات الثلاث تشجيع للمؤمنين على منازلتهم والحمل عليهم، وتبشير لهم بأنهم المنصورون الغالبون<sup>(١)</sup>.

#### ٤- غزوة بدر الآخرة

قال ابن إسحاق: ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان، حتى نزله فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية الظهران، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جذب، وإني راجع فأرجعوا. فرجع الناس فساهم أهل مكة «جيش السويق» يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق.

وأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان لميعاده فأناه مخشى بن عمرو الضمري وهو الذي كان وادعه علي بنى ضمرة في غزوة ودان فقال: يا محمد أجت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم، يا أبا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك. قال: لا والله يا محمد ما لنا بذلك منك من حاجة. فأقام رسول الله ﷺ ثم انصرف إلى المدينة<sup>(٢)</sup>.

#### ٥- غزوة دومة الجندل

قال ابن إسحاق: فأقام بها شهراً حتى مضى ذو الحجة، وولى تلك الحجة المشركون، وهي سنة أربع، ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل. قال ابن هشام: في شهر ربيع الأول، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري.

(١) «محاسن التأويل» (١٦/١٠٧) ط. دار الفكر.

(٢) باختصار من «سيرة ابن هشام» (٣/٢٤٨، ٢٥٠) مع «الروض الأنف».

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيداً فأقام بالمدينة بقية سنته<sup>(١)</sup>.

### ٦- حوادث أخرى في السنة الرابعة

- ١- وفاة أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي ابن عمه رسول الله ﷺ برة بنت عبد المطلب وأول من هاجر من أصحابه إلى المدينة بأهله ثم فرق المشركون بينهما.
- ٢- وفاة عبدالله بن عثمان وابن رقية بنت رسول الله ﷺ وله من العمر ست سنين.
- ٣- ولادة الحسين بن علي عليه السلام، وهو سبط النبي ﷺ ابن فاطمة الزهراء عليها السلام.
- ٤- زواج النبي ﷺ بزینب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية والملقبة بأم المساكين.
- ٥- تزوج النبي ﷺ بأم سلمة بعد انقضاء عدتها من أبي سلمة عليها السلام.



(١) «سيرة ابن هشام» (٣/٢٥٨) مع «الروض الأنف».